



حصن المشقر وتمثلات القوة والهيمنة في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام

Al-Mushaqqar : Power and Hegemony in Ancient Arabic Poetry

أوكالي نجاح*

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)

nadjah.oukali@univ-msila.dz

الملخص:

معلومات المقال

تتناول الدراسة حصن المشقر في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بوصفه مكانًا تجاوز حدوده الجغرافية ليغدو رمزًا شعريًا دلّ على القوة والهيمنة والمنعة، وتنتقل من فرضية مفادها أن هذا الحصن لم يرد في القصيدة العربية القديمة باعتباره حصنًا تاريخيًا فحسب، بل بوصفه علامة ثقافية ارتبطت في المخيال العربي بمعاني الردع والسيادة، ومن هنا سعينا إلى تتبع تمثلات المشقر في النصوص الشعرية، وتحليل ما يحمله من دلالات سياسية وجمالية في الشعر الجاهلي، ثم الكشف عن التحول الذي أصاب هذه الدلالات في شعر صدر الإسلام مع تغير تصور العرب لمفهوم القوة ومصدر الشرعية، معتمدة مقارنة تحليلية تصل الشاهد الشعري بسياقه التاريخي، دون أن تختزل النص في وظيفته الخبرية، وذلك من أجل بيان الكيفية التي تحول بها المشقر من موضع حصين إلى رمز يكشف عن بنية السلطة وآليات تمثيلها، وتخلص الدراسة إلى أن المشقر أدى في الشعر الجاهلي وظيفة رمزية اتصلت بتمجيد المنعة والهيبة والسيطرة، ثم استمر حضوره في شعر صدر الإسلام داخل أفق دلالي جديد لم يُلغ رصيده القديم، لكنه أعاد توجيهه في ضوء مراجعة أخلاقية وقيمية لمعنى القوة والهيمنة.

تاريخ الارسال:

2026/04/08

تاريخ القبول:

2026/06/06

تاريخ النشر:

2026/06/14

الكلمات المفتاحية:

- ✓ حصن المشقر
- ✓ الشعر الجاهلي
- ✓ شعر صدر الإسلام
- ✓ القوة
- ✓ الهيمنة
- ✓ الرمز المكاني

Abstract :

Article info

This article examines *Hisn al-Mushaqqar* in pre-Islamic and early Islamic poetry as a place that moved beyond its geographical reality to become a poetic symbol of power, domination, and fortification. The article is based on the assumption that *al-Mushaqqar* was not represented in early Arabic poetry merely as a historical fortress, but rather as a cultural sign associated in the Arab Imagination with deterrence, sovereignty, and control over space. It therefore seeks to trace the representations of *al-Mushaqqar* in poetic texts, to analyze its political and aesthetic connotations in pre-Islamic poetry, and to reveal the semantic transformation that affected these connotations in early Islamic poetry as Arab conceptions of power and legitimacy changed. The article adopts an analytical approach that relates the poetic text to its historical context without reducing it to a mere historical report, in order to show how *al-Mushaqqar* shifted from a fortified site into a symbol revealing structures of authority and modes of representing them. The article concludes that *al-Mushaqqar* performed, in pre-Islamic poetry, a symbolic function tied to the glorification of strength, prestige, and

Received

08/04/2026

Accepted

06/06/2026

Published

14/06/2026

Keywords:

- ✓ *Hisn al-Mushaqqar*
- ✓ pre-Islamic poetry
- ✓ early Islamic poetry
- ✓ power
- ✓ domination
- ✓ spatial symbolism

control, and that Its presence continued In early Islamic poetry within a new semantic horizon that did not erase its earlier significance, but rather reoriented It in light of an ethical and moral reconsideration of power and domination.

1. مقدمة

لا يحضر المكان في الشعر العربي القديم بوصفه خلفية محايدة للأحداث، بل يتشكل في كثير من النصوص باعتباره عنصراً دلاليًا فاعلاً يسهم في بناء الرؤية الشعرية نفسها، ولا سيما حين يرتبط بمعاني السلطان والحرب والمنعة، ومن هذا المنطلق يكتسب حصن المشقر أهميته في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام إذ لا يرد باعتباره اسماً لموضع جغرافي فحسب وإنما بوصفه موضعاً مشحوناً بذاكرة الصراع، ومتصلاً في الوعي العربي القديم بمعاني القوة والهيبة والسيادة، وقد أثبتت كتب البلدان والأخبار قدم حضور المشقر في الذاكرة العربية، وعدته من حصون البحرين المشهورة إذ وصفه ياقوت الحموي بأنه "حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس" (الحموي، 1995، ص: 134).

غير أن أهمية المشقر في هذه الدراسة لا تنبع من تاريخه وحده، بل من الكيفية التي تمثلته بها القصيدة العربية في مرحلتين متميزتين: الجاهلية وصدر الإسلام، ففي الشعر الجاهلي يظهر المشقر في سياقات تتصل بالفخر والحرب والمهابة، فيغدو الحصن صورةً من صور الردع وعلامة من علامات التفوق السياسي والعسكري، أما في شعر صدر الإسلام فإن دلالاته لا تختفي لكنها تدخل في أفق جديد، حيث تبدأ صورة القوة نفسها في التحول من معناها القائم على الغلبة المادية والامتناع الحربي إلى معنى أكثر اتصالاً بالقيمة والشرعية وإعادة النظر في مفهوم السلطة، وقد أشار شوقي ضيف إلى أن الإسلام لم يرد العرب عن الشعر بل وجهه إلى مقاصد جديدة، فصار أقدر على التعبير عن القيم المستحدثة في المجتمع الإسلامي (ضيف، 1960، ص: 45).

وتؤكد هذه الأهمية إذا لاحظنا أن المشقر لم يرد في المدونة الأدبية القديمة وروداً عابراً، بل اقترن في الأخبار والأشعار بأيام العرب، وبالمك، وبالسوق، وبالتحصين، وهي عناصر جعلت منه موضعاً كثيف الدلالة، قادراً على اختزال علاقات القوة داخل المجتمع العربي القديم، وفي حديثه عن الأسواق الموسمية وما اتصل بها من حصون الخليج يذكر جواد علي المشقر ضمن الحصون التي كانت تحمي قرى ساحل الخليج من الأعراب، وأن فيه حامية كبيرة، وتغلق عليه الأبواب عند دنو الخطر، كما كان موضعاً تُدخّر فيه الميرة والأرزاق، وهو ما يكشف صلته بالحماية والنفوذ والضبط السياسي (جواد، 2001، ص: 62).

ويكشف تتبع النصوص الشعرية أن المكان الحصين في الشعر الجاهلي لا يُستدعى من أجل الوصف وحده، بل يُستثمر لإبراز الفارق بين من يملك القوة ومن يخضع لها، وبين من يفرض الحضور ومن يُقضى إلى الهامش، ولهذا فإن المشقر يندرج ضمن الأمكنة التي أدت في الشعر وظيفة تتجاوز التعيين إلى التمثيل، إذ أصبح علامة على المنعة والعلو، وصار استدعاؤه في بعض السياقات استدعاءً مباشراً لهيبة السلطة، سواء أكانت سلطة قبلية أم ملكية، ثم إن هذا الرصيد الدلالي نفسه هو الذي يفسر استمرار ذكره في شعر صدر الإسلام، ولكن بعد أن خضع لإعادة تأويل فرضها التحول الثقافي والديني الذي أحدثه الإسلام في تصور العرب لمصدر القوة ومعياري التفاضل. وقد لفت شوقي ضيف إلى أن الشعراء المخضرمين لم يكتفوا بالاحتفاظ بأدوات التعبير القديمة، بل صدرت أشعارهم في جوانب منها عن قيم الإسلام الروحية والاجتماعية، وهو ما يعين على فهم تحول دلالة المكان نفسه من أفق الجاهلية إلى أفق الإسلام (ضيف، 1960، ص: 68).

ومن هنا فإن هذه الدراسة لا تهدف إلى جمع الأخبار المتصلة بحصن المشقر، ولا إلى الوقوف عند حدوده الجغرافية أو التاريخية، بل تسعى إلى مساءلة حضوره الشعري في ضوء متغيرين أساسيين يحكمهما العنوان نفسه: القوة والهيمنة، وعلى هذا تبلورت لدينا الإشكالية التي لمسناها في حدود هذا الاستفهام: كيف تحول المشقر في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام من موضع حصين إلى رمز يكشف عن بنية السلطة وآليات تمثيلها؟ ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى، من قبيل: ما الصور الشعرية التي ارتبط بها المشقر في كل مرحلة؟ وكيف أسهم اختلاف السياقين الجاهلي والإسلامي في إنتاج اختلاف دلالي في تمثله؟ وهل ظل رمزاً للمنعة المادية وحدها، أم أصبح حاملاً لمعنى أوسع يتصل بالنقد الضمني للسلطة أو إعادة تقييمها؟

وأمام هذه الإشكاليات المطروحة كان لابد من الاعتماد على مقارنة تحليلية تقوم على وصل النص الشعري بسياقه التاريخي دون أن تذوب فيه، وعلى قراءة الشاهد الشعري بوصفه بنية دلالية لا مجرد وثيقة خبرية، لذلك سيتجه التحليل إلى استنطاق مواضع ورود المشقر في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام، وبيان ما تحمله من تمثلات للقوة، وما تكشف عنه من تحولات في النظر إلى الهيمنة بين المرحلتين، وبهذا المعنى فإن المشقر في هذه الدراسة ليس موضوعاً تاريخياً فحسب، بل مدخلاً نقدياً لقراءة علاقة الشعر العربي القديم بالمكان حين يصبح هذا المكان مرآةً للسلطان، ومسرحاً للذاكرة، وعلامةً على تبدل معنى القوة من عصر إلى آخر.

2. حصن المشقر بين المرجعية التاريخية والتشكيل الشعري

1.2 حصن المشقر في الذاكرة التاريخية والجغرافية:

لا يبدأ فهم دلالة المشقر في الشعر من النص الشعري نفسه، بل من تثبيت صورته في الوعي الجغرافي والأخباري القديم، إذ إن الاسم لم يرد في المصادر بوصفه موضعاً عابراً، وإنما بوصفه حصناً عظيماً ارتبط بإقليم البحرين القديم، أي بشرق الجزيرة العربية في مدلوله التاريخي الواسع، وقد نص ياقوت الحموي على ذلك نصاً مباشراً حين قال: "المشقر حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس..." (الحموي، 1995: ص 134)، وهذه العبارة لا تحدد الموضع فحسب، بل تكشف منذ البداية عن اقتران الحصن بقبيلة ذات حضور سياسي ومجالي بما يجعل المكان منذ تعريفه الأول موصولاً بفكرة القوة والامتلاك.

وتتعرّز هذه الدلالة في المعجم اللغوي لا يفهم "المشقر" بوصفه اسم علم خالصاً فقط، بل بوصفه أيضاً مثلاً على الحصانة والمنعة. ففي لسان العرب، وبعد إيراد البيت:

فلئن بنيت لي المشقر فيصعب تقصّر دونه العصم

يفسر ابن منظور اللفظة بقوله: "أراد: فلئن بنيت لي حصناً مثل المشقر" (ابن منظور، د.ت. ص: 423)، وهذا التفسير مهم لأنه يدل على أن الاسم تجاوز مرجعه الجغرافي إلى معنى تمثيلي، أي إن المشقر صار في الوعي العربي القديم مقياساً للحصن المنيع لا مجرد اسم لموضع معلوم.

ومن هنا فإن الحديث عن موقع المشقر لا ينبغي أن يبقى حديثاً جغرافياً صرفاً، لأن الجغرافيا نفسها كانت جزءاً من إنتاج دلالاته، فسعيد الأفغاني وهو يعرض أخبار سوق المشقر يورده بوصفه "حصناً بالبحرين لعبد القيس، وهو قريب من هجر"، ثم يضيف ما نقلته المصادر من أنه كان على تل عالٍ، وأنه عُدد من الحصون ذات الخطر والمناعة (الأفغاني، 1960: ص 240)، وبهذا المعنى فإن موقعه لم يكن

تفصيلاً محايداً بل أحد الأسباب التي جعلته قابلاً للانتقال من الواقع إلى الرمز لأن المكان المرتفع، الحصن، المتصل بالسوق والقبيلة، أقدر من غيره على أن يتحول في الشعر إلى صورة للهيبة والامتناع.

3.1. حضوره في أخبار العرب:

إذا انتقلنا من التعريف الجغرافي إلى الذاكرة الخبرية وجدنا أن المشقر لم يثبت في المصادر بسبب موضعه وحده، بل بسبب الأحداث التي ارتبطت بها، وأبرز هذه الأحداث ما عُرف في كتب الأيام بـ "يوم الصفقة"، وهو يوم يتصل بسياق الصراع بين العرب والفرس وما تخلله من تدبير ومواجهة وانقضاء، وقد أورد ابن الأثير خبر هذا اليوم ضمن أيام العرب في الجاهلية، وهو ما يكشف أن المشقر كان داخل شبكة من الوقائع التي تجاوزت حدود الحصن إلى تاريخ الصدام السياسي والعسكري في المنطقة (ابن الأثير، 1997: ص: 555).

لكن الأخبار لا تقدّم المشقر بوصفه موضع قتال فقط، فهي تُظهره كذلك فضاء اقتصاديًا وسياسيًا في آن، ففي حديثه عن سوق المشقر، يبين سعيد الأفغاني أن هذا الموضع لم يكن مجرد سوق موسمية، بل كان جزءًا من تدبير النفوذ في البحرين، وأنه خضع لتأثير القوى الكبرى حتى غدا السوق نفسه امتداداً للهيمنة السياسية، لا موضعاً للتبادل التجاري فقط (الأفغاني، 1960: ص: 242)، وعلى هذا الأساس، فإن حضور المشقر في أخبار العرب ظل كثيفاً، لأنه جمع بين ثلاثة عناصر نادرًا ما تجتمع في موضع واحد: الحصن، والسوق، والحدث الحربي.

وتظهر هذه الكثافة الخبرية أيضًا في استمرار اقتران المشقر بأسماء الشعراء وأيام العرب معًا، فالأفغاني بعد عرضه لخبر الحصن، يذكر أن شهرته كانت "مستفيضة على ألسنة العرب" ثم يورد شواهد شعرية متعددة تدل على أن الاسم صار متداولًا بوصفه مركزًا للأحداث والذاكرة (الأفغاني، 1960: ص: 240)، وهذا يعني أن المشقر لم يدخل الشعر من فراغ بل دخل من بوابة الأخبار، أي من بوابة الوقائع التي جعلت الاسم منقلاً بدلالات سابقة على استعماله الشعري.

1.4. صلته بالسلطة والملك والصراع:

هناك صلة وثيقة بين المشقر وبين منطق السلطة والملك والصراع، فالحصن في الثقافة العربية القديمة ليس عمراً دفاعياً فحسب، بل هو علامة على السيطرة المكانية، لأن من يملك الحصن يملك الإشراف، والحماية، والتحكم في الحركة والموارد، ولهذا لم يكن غريباً أن تقرر الأخبار بين المشقر وبين نفوذ كسرى في السوق وتديره للميرة واستعماله المكان أداة من أدوات الإخضاع السياسي (الأفغاني، 1960: ص: 242)، وتزداد هذه الدلالة وضوحاً في الشعر، فحين يهجو يزيد بن المفرّغ من ترك جوار قريش إلى عبد القيس، يقول:

تركتُ قريشاً أن أجاورَ فيهمُ وجاورتُ عبدَ القيسِ أهلَ المشقرِ

الحموي، 1995: ص: 134)، إن ذكر المشقر هنا لا يؤدي وظيفة مكانية فقط، بل ينهض بوظيفة سياسية واضحة لأن الحصن صار علامة على الجماعة التي تملكه، وعلى نوع القوة التي تحتمي به أو تنسب نفسها إليه، والمشقر في هذا الموضع ليس جداراً ولا تلا، بل

عنواناً للانتماء إلى مجال قوة، ولهذا فإن اقترانه في الأخبار بالشأن الفارسي، وفي الشعر بعبد القيس، يدل على أن الاسم كان يتحرك داخل شبكة من التنافس على النفوذ والسيادة.

وبذلك يتضح أن المشقر - تاريخياً - لم يكن مكاناً صامتاً، وإنما كان موضعاً تتقاطع فيه مستويات متعددة من السلطة: سلطة الحصن، وسلطة السوق، وسلطة الجماعة المالكة له، وهذه المستويات كلها هي التي ستنتقل لاحقاً إلى القصيدة فتجعل من الاسم نفسه حاملاً لمعنى الهيمنة قبل أن يرد في أي صورة شعرية مفصلة.

3. انتقال حصن المشقر من الواقع إلى الرمز في الشعر

3.1 كيفية تحوّل المكان إلى علامة شعرية:

لا يتحول المكان إلى رمز شعري بمجرد ذكره، بل حين تتراكم حوله من الأخبار والصفات ما يجعله قادراً على اختزال معنى يتجاوز حدوده الجغرافية، وهذا ما حدث للمشقر، فقد سبق الشعر إلى بنائه الرمزي تاريخ من الحصار، والمناعة، والسوق، والملك، والنفوذ، فلما استدعاه الشعراء لم يستدعوا موضعاً خالياً، بل استدعوا شبكة كاملة من المعاني الجاهزة في الذاكرة.

ويظهر هذا بوضوح في الاستعمال المعجمي الذي أورده ابن منظور. فالبيت:

فلئن بنيت لي المشقر في صعبٍ تقصّر دونه العصم

لا يُقرأ عنده بوصفه مجرد ذكر لاسم مكان، بل يفسره بقوله: "أراد: فلئن بنيت لي حصناً مثل المشقر" (ابن منظور، د.ت.ص: 423)، وما يهم هنا ليس المعنى المعجمي فقط، بل ما يكشفه هذا التفسير من أن المشقر صار نموذجاً مرجعياً للحصن المنيع، وهذا هو عين التحول من الجغرافيا إلى العلامة الشعرية، إذ يصبح الاسم وحده كافياً لاستدعاء معنى المنعة من غير حاجة إلى وصف طويل.

ويؤكد الشعر نفسه هذا التحول، فحين يورد الأفغاني بيت المخبل:

فلئن بنيت لي المشقر في صعبٍ تقصّر دونه العصم

فإن البيت لا يصف الحصن وصفاً معمارياً، بل يجعله مقياساً لأقصى ما يمكن تصوره من التحصن والامتناع (الأفغاني، 1960.ص: 240)، وهنا يتحول المشقر إلى كثافة دلالية: مجرد لفظة واحدة لكنها تحتزن الارتفاع، والعسر، والردع، وصعوبة المنال.

3.2 المشقر بوصفه رمزاً للمنعة والسيادة:

حين يستقر الاسم في الذاكرة بهذه الصورة، يصبح قابلاً لأن يؤدي في القصيدة وظيفة رمزية أوسع هي وظيفة المنعة والسيادة، ففي الشاهد الذي أورده الأفغاني عن الأعشى:

فإن تمنعوا منّا المشقر والصفاء فإنّا وجدنا الخطّ جمّاً نخيلها

(الأفغاني، 1960. ص: 241).

لا يرد المشقر هنا بوصفه علما جغرافيا جامدا، بل بوصفه جزءا من نزاع على المجال، فالفعل "تمنعوا" يجعل المكان موضوع أخذٍ ودفعٍ، أي موضوع سلطة، ومعنى ذلك أن المشقر دخل في البنية الشعرية لا من جهة جمال الموضوع، بل من جهة كونه شيئا يُتنازع عليه لأنه ذو قيمة سياسية ومجالية، ومن هنا يصبح رمزا للسيادة لأن المنع لا يكون إلا عن شيء ذي شأن. وتبرز الرهبة الملازمة لهذا الرمز في بيت أبي ذؤيب الذي أورده الأفغاني أيضًا:

حتى كأني للحوادث مروءة بصفاء المشقر كل يوم تُقرعُ

(الأفغاني، 1960. ص: 241).

فالبيت لا يستدعي المشقر ليستعيد حادثة بعينها، بل ليَجعل من "صفاء" موضعا تتكسر عليه الحوادث كما تتكسر الضربات على الصخر، وهذا الاستخدام يكشف أن الاسم صار دالا على الصلابة والاحتمال والدوام تحت القرع، وهي معانٍ تتصل بالمنعة ولكن في بعدها النفسي والرمزي، لا في بعدها العسكري المباشر فقط.

ولهذا لا يمكن النظر إلى المشقر في الشعر الجاهلي بوصفه موضعا يذكر عرضا، لأن الشعراء حين يستدعون يكونون في الغالب بصدد استدعاء هبة مكان لا مجرد مكان، فهو اسم يشف عن سلطة كامنة فيه وعن اعتراف جمعي بخصوصيته، ولذلك أمكن له أن يعمل في النص بوصفه علامة على السيادة أكثر من كونه حدا جغرافيا معلوما.

3.3. حضور الحصن في المخيال الجاهلي والإسلامي:

إن تثبيت المشقر بهذه الصورة في الشعر الجاهلي هو الذي يفسر استمرار حضوره بعد ذلك في المخیال العربي الأوسع، حتى حين تغيرت المرجعيات الثقافية مع الإسلام، فالمواضع التي ترسخ في القصيدة بوصفها رموزا لا تختفي سريعا، بل تبقى قابلة لإعادة الاستدعاء والتأويل، وقد دلّت أخبار الشعر على أن المشقر ظل حيا في الذاكرة لأنه لم يكن مجرد حصن، بل كان مكانا اجتمع فيه الحدث، والرغبة، والشهرة، والتداول الشعري.

ويكشف تفسير ديوان لبید لعبارة "الصفاء" بأنه "صفاء المشقر في هجر" عن أن الاسم ظل حاضرا في الشرح والتلقي بوصفه مرجعا مكانيا معروفا، لا يحتاج إلا إلى الإشارة ليفهم السامع أو القارئ شيئا من دلالاته (لبید، 2004. ص: 38)، وهذه الإشارة مهمة لأنها تدل على أن المشقر لم يبق حبيس أخبار البحرين، بل أصبح من الأمكنة التي تستدعى في الشرح الأدبي نفسه بوصفها جزءا من الرصيد الثقافي المشترك.

ومع ذلك، فإن ما يبقى من المشقر في الذاكرة ليس الحجر وحده، بل صورته المؤولة، فالشعر الجاهلي جعله رمزا للفخر والمنعة والسيطرة على المجال، بينما سيفتح شعر صدر الإسلام الباب أمام استعماله ضمن أفق جديد لا يلغي معناه القديم، لكنه يعيد توجيهه في ضوء تحولات النظر إلى القوة والسلطة، ولذلك فإن الانتقال من هذا القسم إلى القسم اللاحق لا يكون انتقالا من التاريخ إلى الشعر فحسب، بل من المكان بوصفه خبرا إلى المكان بوصفه بناء دلاليا.

4. تمثيلات قوة الحصن في الشعر الجاهلي

4.1. الحصن باعتباره مظهرا للدع والمنعة:

لا يرد المشقر في الشعر الجاهلي بوصفه اسما مكانيا محايدا، بل بوصفه اسما مشبعا منذ الأصل بمعاني الحصانة والامتناع، وهذا المعنى لا يثبت فقط من الأخبار الجغرافية، بل من الاستعمال اللغوي نفسه، إذ يورد ابن منظور قول الشاعر:

فلئن بنيت لي المشقر في صعبٍ تُقصرُ دُونَهُ العُصمُ

ثم يفسره بقوله: "أراد: فلئن بنيت لي حصنا مثل المشقر" (ابن منظور، د.ت. ص: 423)، فهذا التفسير يكشف أن المشقر لم يعد يدل على موضع بعينه فقط، بل صار مثالا مرجعيا للحصن المنيع، ومن هنا تبدأ دلالاته الشعرية: فمجرد ذكر الاسم يختصر معنى الردع قبل أن يصف الشاعر الجدران أو الأبواب أو وسائل الدفاع.

ويزداد هذا المعنى رسوخا حين نقرأ وصف ياقوت الحموي للمشقر: "المشقر حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس..." (الحموي، 1995: ص: 134). فلفظة "عظيم" هنا ليست تفصيلا وصفيا ثانويا، بل تؤسس في الوعي الأدبي لصورة الحصن الذي يتجاوز العمران إلى القيمة السلطوية، لأن عظمة الحصن في الثقافة العربية القديمة تقاس بقدرته على الحماية وعلى تمثيل نفوذ من يملكه، ولهذا يصبح المشقر في الشعر الجاهلي صيغة مختصرة للقوة المستقرة، أي القوة التي تتمثل في القدرة على الاحتماء، وضبط المجال، ومنع الخصم من اختراقه.

وبهذه الدلالة لا يغدو الحصن عنصرا خارجيا في القصيدة، بل يتحول إلى جزء من بنية المعنى، فحين يقول المخبل السعدي: "فلئن بنيت لي المشقر..." لا يمدح بناء فحسب، بل يستحضر الحد الأقصى المتخيل من الامتناع، كأن المشقر صار في المخيال الشعري معيارا للردع ذاته، وهذا ما يجعل استدعاءه في الشعر الجاهلي فعلا دالاً على الرغبة في تثبيت الهيبة لا مجرد استحضار لموضع معروف، واستمرار ورود هذا البيت في المعاجم وكتب الأخبار يؤكد أن المشقر رسخ في الذاكرة العربية بوصفه أفقا دلاليا للمنة لا مجرد علم جغرافي. (ابن منظور، د.ت. ص: 423).

4.2. العلاقة بين القوة والسلاح والحرب:

إذا كانت مناعة الحصن تمثل صورة القوة الساكنة، فإن الحرب هي الصورة المتحركة لتلك القوة، ولهذا لا يظهر المشقر في الشعر الجاهلي مجرد حصن قائم، بل يظهر موضعا تتحدد قيمته بما يدور حوله من منع واقتحام وتنازع على المجال، ويبدو ذلك واضحا في بيت الأعشى:

فإن تمنعوا منا المشقر والصفا فإننا وجدنا الخطَّ جمًّا نخيلها

الذي أورده سعيد الأفغاني في حديثه عن سوق المشقر (الأفغاني، 1960: ص: 241). فالفعل "تمنعوا" يجعل المكان جزءا من فعل عسكري وسياسي في آن واحد، لأن المنع هنا ليس وصفا لطبيعة الحصن فقط، بل تعبير عن نزاع على السيطرة، والمشقر في هذا البيت ليس معلما ساكنا، بل موضع اشتباك يتحدد معناه من خلال القوة التي تحميه أو تحاول بلوغه.

ومن هنا تتشكل العلاقة بين الحصن والحرب في الصورة الشعرية: فالمكان لا يكتسب هيئته من الحجر وحده، وإنما من قابليته لأن يكون نهاية لحركة السلاح أو سببا لاشتدادها، لذلك يأتي المشقر في بيت الأعشى داخل بنية مقابلة: إذا مُنِع الحصن وموضعه، فثمة تعويض بمجال آخر، بما يدل على أن المكان جزء من اقتصاد القوة في الوعي الجاهلي، وأن امتلاكه أو فقدته يدخل في حسابات الصراع والرد. (الأفغاني، 1960: ص: 241).

وتبرز الصلة بين الحصن والحوادث القاسية في بيت أبي ذؤيب الهذلي:

حتى كأني للحوادثِ مَرَوَّةٌ بصفا المشقرِ كلَّ يومٍ تُقَرِّعُ

كما أورده الأفغاني أيضا (الأفغاني، 1960: ص: 241)، فالبيت يربط المشقر بالفعل العنيف المتكرر: "تُقَرِّعُ"، وهنا لا يعود الحصن مجرد موضع امتناع، بل يتحول إلى فضاء تقاس عليه شدة الصدمة لأن الشاعر يشبه نفسه بصخرة من صفا المشقر تتلقى الضربات بلا انكسار، وبهذا يصبح المشقر في الشعر الجاهلي صورة تجمع بين الحرب والتحمل، وبين الحصانة والامتحان المستمر.

4.3. تمجيد السلطة القبلية أو الملكية عبر صورة الحصن:

لا تُفهم مناعة المشقر في الشعر الجاهلي خارج صلته بالبنية القبلية والسياسية التي منحت قيمته، فالحموي لا يكتفي بتعريفه حصنا، بل يربطه مباشرة بعبد القيس، فيقول: "حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس" (الحموي، 1995: ص: 135)، وهذه الإضافة حاسمة لأن

الحصن هنا ليس مجرد بناء، بل ملك جماعة وعلامة على حضورها وحققها في المجال، ومن ثم فإن ذكر المشقر في الشعر يستبطن غالبا ذكر الجهة التي تتحصن به أو تُعرف به.

ويؤكد هذا المعنى البيت الذي أورده ياقوت ليزيد بن المفرغ:

تركتُ قريشاً أن أجاورَ فيهمُ وجاورتُ عبدَ القيسِ أهلَ المشقرِ

(الحموي، 1995، ص: 135)، بالإضافة في قول الشاعر "أهل المشقر" لا تدل على السكن فقط، بل على هوية سياسية ومكانية معا إذ صار الحصن عنوانا على الجماعة، وصارت الجماعة تُعرف به، وهذا ما يجعل المشقر في الخطاب الشعري أقرب إلى شارة للسيادة القبلية، لأن الانتساب إليه ليس انتساباً إلى موضع طبيعي بل إلى فضاء يحوز المنعة والاعتبار.

ومن هذه الزاوية يغدو تمجيد الحصن تمجيذا للسلطة التي تقف وراءه، فالشاعر حين يذكر المشقر لا يفاخر غالبا بالحجارة، بل بما ترمز إليه من ضبط للمجال، وثبات في الصراع، وامتلاك لمركز القوة، ولذلك فإن صورة المشقر في الشعر الجاهلي تشارك في بناء فخر سياسي ضمني يقوم على أن من يملك هذا الموضع أو ينتسب إليه يملك، في الوقت نفسه، رصيда من الهيبة يتجاوز حدود الوصف المكاني. (الحموي، 1995، ص: 135).

5. القوة الرمزية وهيبة المكان في الخطاب الشعري

5.1. المشقر كفضاء للفخر:

يتحول المشقر في الشعر الجاهلي إلى فضاء للفخر لأنه لا يُذكر عادة في سياق يومي أو عادي، بل في سياقات تتصل بالمنعة، والصمود، والتفوق في مواجهة الخصم، ويظهر ذلك في بيت الأعشى السابق، إذ لا يتعامل الشاعر مع المشقر بوصفه اسما جغرافيا باردا، بل بوصفه موضعا تُقاس به القدرة على الأخذ والمنع، فالفخر هنا لا يتولد من تعداد المناقب وحده، بل من الدخول اللغوي في مجال القوة الذي يمثله الحصن، (الأفغاني، 1960، ص: 241).

ولذلك فإن ذكر المشقر في القصيدة يؤدي وظيفة مزدوجة: فهو من جهة يثبت معرفة الشاعر بعالم الوقائع والأمكنة الكبرى، ومن جهة أخرى يضيف على القول مسحة من الجلال السياسي، فليس كل مكان صالح لأن يكون أداة للفخر، وإنما الأمكنة التي تراكمت حولها ذاكرة السيادة والصراع، ومن هنا يصبح المشقر في الشعر الجاهلي رأس مال رمزيا لأن الشاعر حين يستحضره إنما يستحضر معه تاريخا من الهيبة، فيكتف هذا التاريخ في لفظة واحدة. (الأفغاني، 1960، ص: 241).

5.2. الرهبة والعلو والامتناع في الوصف الشعري:

من الخصائص اللافتة لصورة المشقر في الشعر الجاهلي أنه لا يستدعي معنى المنعة وحده، بل يستدعي أيضا أثرها النفسي، أي الرهبة، وهذا ما يفهم من الشاهد الذي أورده ابن منظور فقول الشاعر: "في صعبٍ تقصّر دونه العصم" يجعل الحصن موضعا يعجز عنه حتى الوعول الجبلية، وهي رمز القدرة على التسلق والبلوغ، وعند هذه النقطة يتحول الوصف من معمار إلى إحساس: فالمشقر ليس حصنا مرتفعا فقط، بل هو حصن يصنع مسافة نفسية بينه وبين من يحاول الوصول إليه. (ابن منظور، د.ت. ص: 423).

ويظهر المعنى نفسه في وصف ياقوت للمشقر بأنه حصن "عظيم"، مع نقل أقوال تجعله قائما على تل عالٍ (الحموي، 1995، ص: 134). فالعلو هنا ليس صفة هندسية فحسب، بل جزء من إنتاج الهيبة لأن المكان كلما ارتفع وتعذر، ازداد قابليته لأن يتحول في الشعر إلى صورة للامتناع والرهبة، ولهذا لا يكون المشقر في الوعي الشعري مجرد موضع حصين، بل موضعا يفرض على المخيلة تصورا مركبا من البعد، والصعوبة، والهيمنة.

أما بيت أبي ذؤيب: "حتى كأني للحوادث مروءة / بصفا المشقر كل يوم تقرع"، فيضيف إلى الرهبة معنى آخر هو الصلابة تحت التكرار، فالمشقر ليس عاليا وممتنعا فقط، بل هو موضع تُقَرَع صخوره وتظل قائمة، وهكذا تصبح هيئته ناتجة من اجتماع العلو مع الاحتمال،

والامتناع مع القدرة على استقبال الضربات، وهذا ما يفسر القيمة الجمالية للشاهد: فهو لا يكتفي بوصف المكان، بل يوظف دلالاته لإنتاج صورة نفسية كثيفة عن الصبر والشدة والاعتداد. (الأفغاني، 1960. ص: 243).

5.3. تداخل المكانة السياسية مع القيمة الجمالية للصورة:

تكمّن خصوصية المشقر في الشعر الجاهلي في أنه لا يحتفظ بقيمته من جهة سياسية فقط، ولا من جهة بلاغية فقط، بل من تداخل الجهتين معاً، فبيت يزيد بن المفرغ، مثلاً، يجعل الحصن عنواناً على جماعة بعينها، وبيت الأعشى يجعله موضوعاً للمنع والتنازع، وبيت أبي ذؤيب يحوله إلى موضع تقاس عليه الصلابة، وفي هذه الشواهد الثلاثة تتبدى قدرة الاسم على أن يحمل المعنى السياسي والأثر الجمالي في آنٍ واحد.

ولهذا فإن المشقر لا يعمل في القصيدة بوصفه شاهداً تاريخياً فحسب، بل بوصفه صورة شعرية مكتملة الوظيفة، إنه يمنح النص هبة المكان ويمنحه في الوقت نفسه قابلية التخيل والانفعال، ومن ثم فإن القوة لا تظهر فيه خطاباً مباشراً فقط، بل تظهر من خلال الجماليات التي تجعل السيطرة مرئية وملموسة ومثيرة للإعجاب أو الخشية، وهذا بالضبط ما يمنح المشقر مكانته في دراسة تمثيلات الهيمنة: فهو لا يقول إن هناك قوة فحسب، بل يجعل هذه القوة تُرى في صورة حصن، وتُحسّ في صورة رهبة، وتُداول في صورة فخر. ((الأفغاني، 1960. ص: 243).

وبذلك يمكن القول إن تمثيلات القوة في الشعر الجاهلي المرتبط بالمشقر تقوم على مستويين متداخلين: مستوى أول يجعل الحصن علامة على الردع والسيطرة والتمركز السياسي، ومستوى ثانٍ يحول هذه العلامة إلى بنية جمالية قادرة على إنتاج الفخر والرهبة والإيجاء، ومن هذا التداخل بالذات اكتسب المشقر فرادته، إذ لم يبق موضعاً في أخبار البحرين وحدها، بل صار اسماً شعرياً يكتنف الهيبة والامتناع والسلطة في آنٍ واحد.

6. الهيمنة وتحول دلالات المشقر في شعر صدر الإسلام

6.1. أثر التحول الإسلامي في إعادة تقييم السلطة:

أحدث الإسلام تحولاً واضحاً في النظر إلى القوة والسلطة، إذ لم يعد معيار التفاضل محصوراً في كثرة العدد، ولا في التحصن بالحجارة، ولا في الامتداد القبلي وحده، بل أعيد بناء القيمة على أساس أخلاقي وديني جديد، فالقرآن الكريم لم يُلغ معنى القوة، ولكنه أعاد توجيهه، فربط الكرامة بالتقوى، وربط النصر بالعون الإلهي والحق، لا بمجرد الغلبة المادية، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: 13]، وقال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 10]، وقال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]، وعلى هذا الأساس لم تعد السلطة تُفهم في صدر الإسلام على أنها استدامة مباشرة لمنطق السيادة الجاهلية، بل على أنها مسؤولية تضبطها الشرعية والعدل، ويؤكد شوقي ضيف هذا التحول حين يقرر أن الإسلام لم يرد العرب عن الشعر، بل وجّهه وجعل منه أداة للدفاع عن الدعوة حتى غدا سلاحاً معنوياً في مواجهة الخصوم (ضيف، 1960. ص: 45).

ولا ينعكس هذا التحول في الموضوعات وحدها، بل في البنية القيمية للشعر نفسه، فشوقي ضيف يلاحظ أن جمهور شعراء المخضرمين صاروا يصعدون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم ((ضيف، 1960. ص: 68). ومعنى ذلك أن القوة لم تُنح من الشعر، لكنها لم تعد تُمدح لذاتها كما في كثير من السياقات الجاهلية، بل باتت تُقاس بما تؤديه من نصره للحق، أو دفاع عن الجماعة، أو التزام بقيمة دينية عليا، ومن هنا فإن التحول الإسلامي لم يُلغ معجم الحرب والمنعة، وإنما أعاد تأويله ضمن أفق أخلاقي جديد.

6.2. تغير النظرة إلى الحصون ومظاهر التسلط:

في هذا السياق الجديد لم يعد الحصن يُقرأ بوصفه القيمة القصوى في ذاته، بل غدت قيمته تابعة للغرض الذي يُسخر له، فالحصون، مهما عظمت، لا تكتسب مشروعيتها من مادتها العمرانية بل من علاقتها بالعدل والدفاع المشروع وحماية الجماعة، ولهذا تراجعت قداسة المكان الحصين بوصفه رمزا مطلقا للسيادة، وتقدمت مكانه فكرة القوة المنضبطة بالمبدأ، ويظهر ذلك في كلام شوقي ضيف حين يقرر أن شعر الحماسة في العصر الإسلامي كان أقوى تأثرا بالإسلام من غيره، لأنه كان يُنظم في الجهاد، وكانت تحفّ به المواعظ والوعاظ والحث على الاستشهاد في سبيل الله (ضيف، 1960. ص: 180)، وهنا لا تغيب الحرب لكنها لم تعد حرب مجد قبلي خالص، بل صارت مرتبطة بمقصد ديني وأخلاقي.

ومن هذه الزاوية يمكن فهم تحوّل دلالة المشقر في شعر صدر الإسلام، فاسم الحصن لا يختفي من الذاكرة، لكنه لم يعد يستدعي حصانة الحجر وحدها، ولا سطوة الملك وحدها، بل يستدعي التاريخ نفسه بما فيه من تقلب الأيام وتبدل موازين القوة، ولهذا يصبح المشقر في هذه المرحلة أقل التصاقا بتمجيد السلطة لذاتها، وأكثر اتصافا بالعبارة والذكرى وإدراك محدودية الغلبة المادية، وليس المقصود أن الاسم فقد دلالاته القديمة تماما، بل المقصود أن هذه الدلالة دخلت في تركيب جديد، تجاور فيه المنعة معنى الزمن، وتجاور فيه الهيبة معنى المراجعة، وهذا التحول ينسجم مع الأفق الإسلامي العام الذي لم يجعل القوة غاية نهائية، بل وسيلة تقوّم بوجهتها وغايتها.

6.3. المفاضلة بين القوة المادية والقوة القيمية:

أهم ما يكشفه شعر صدر الإسلام أنه لم يبلغ مفردات القوة الجاهلية بل أعاد ترتيبها بحسب معيار أعلى، فالشجاعة، والثبات، والصبر، وحماية الجماعة، بقيت جميعا معاني ممدوحة، لكنها لم تعد مكتفية بإطاراتها القبلي القديم؛ إذ أُعيد ربطها بالتقوى والجهاد والعدل، ولذلك فإن القوة المادية ظلت حاضرة في الشعر، ولكنها لم تعد المرجع الوحيد للحكم على الفاعلية الإنسانية، وشوقي ضيف يصرح بأن الشعر الإسلامي لم ينفصل عن الحرب، غير أن تأثير الإسلام كان أوضح ما يكون في شعر الحماسة، حيث امتزجت صياغة البطولة بالوعظ والتذكير والبعد الأخروي (ضيف، 1960. ص: 180).

وفي ضوء هذه المفاضلة يمكن قراءة المشقر بوصفه رمزا موروثا لم يخرج من التداول، لكنه لم يبق أسير دلالاته الجاهلية المغلقة، فالاسم ما زال قادرا على استدعاء معنى المنعة، غير أن هذا المعنى لم يعد مستقلا عن سؤال القيمة: ما معنى التحصن إذا انفصل عن الحق؟ وما جدوى السيطرة إذا لم تنضبط بعدل يبررها؟ وهنا بالتحديد تتضح المسافة بين الجاهلية وصدر الإسلام: فالأولى ركزت على الحصن بما هو علامة مجد وهيمنة، أما الثانية فسمحت باستبقائه، ولكن بعد أن أعادت النظر في أساس القوة نفسها. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]، وهو نص يؤسس لفهم لا تنفصل فيه القوة عن العدل.

7. استمرارية الرمز وتحوّل وظائفه الشعرية

7.1. ما الذي بقي من دلالة المشقر في شعر صدر الإسلام:

لم تمخّ المرحلة الإسلامية المبكرة الأسماء المكانية التي تراكمت حولها الذاكرة الجاهلية، بل أبقت بعضها حيا داخل الخطاب الشعري، غير أن بقاءها لم يكن بقاء ساكنا، وفي هذا الإطار ظل المشقر محتفظا بجانب مهم من رصيده الدلالي، ولا سيما ما يتصل بالأيام الشداد والتجارب الحربية الكبرى، ويشهد على ذلك ما ورد في كتاب المعمرين في خبر شريح بن هانئ، إذ أنشد قبل مقتله:

قد عشت بين المشركين أعصرا ثم أدركت النبي المنذرا

وبعده صديقاه وعمرا ويوم مهران ويوم تسترا

والجمع في صقّينهم والنهرا هيهات ما أطول هذا عمرا

(ابن منده، د.ت.ص: 49).

واللافت في هذا النص أن المشقر لا يرد فيه باعتباره موضوعا لوصف جغرافي، بل باعتباره علامة ذاكرة قتالية تختلط فيها الأيام والحروب وأطوار العمر، فالشاعر لا يقف عند الحصن لذاته، بل يضعه في سلسلة من الوقائع التي تلخص تجربة حياة كاملة، وبهذا المعنى فإن ما بقي من دلالة المشقر في شعر صدر الإسلام هو قابليته للاختزال الرمزي: فمجرد ذكره يكفي لاستحضار الشدة، والاختبار، والتقلب التاريخي، من غير حاجة إلى وصف معماري أو خبري مطوّل، وهذا التحول مهم لأنه يبين أن الاسم استمر لكن وظيفته لم تعد هي الوظيفة نفسها التي أدّاها في الشعر الجاهلي.

7.2. إعادة توظيف الرمز في سياقات جديدة:

إن أبرز ما حدث للمشقر في شعر صدر الإسلام هو أنه انتقل من كونه رمزا مباشرا للمنة والسيادة المكانية إلى كونه عنصرا في خطاب الذاكرة والعبرة، ففي بيت شريح بن هانئ لا يعود المشقر موضعا للتفاخر بامتلاكه أو الوصول إليه، وإنما يصبح نقطة في خريطة التجربة التاريخية التي عاشها الشاعر بين الجاهلية والإسلام، وهذا ما يجعل الرمز القديم يدخل في سياق جديد: سياق تأمل الزمن وتتابع الحوادث، لا سياق تمجيد الحصن باعتباره قيمة قائمة بذاتها. (ابن منده، د.ت. ص: 49).

وتساعدنا ملاحظات شوقي ضيف على فهم هذا التبدل، إذ إن صدور شعر المخضرمين عن قيم إسلامية روحية يعني أن الرمز الجاهلي نفسه لم يعد يُستخدم داخل البنية القديمة على حالها، بل صار عرضة لإعادة التأويل بحسب المرجعية المستجدة (ضيف، 1960. ص: 180)، ومن هنا فإن المشقر لم يُلغَ، لكنه أعيد توظيفه: لم يعد موضعا للاحتفاء بالهيمنة بقدر ما صار وعاء لتجربة تاريخية يتجاوز فيها الماضي الجاهلي مع الوعي الإسلامي الجديد.

7.3. من الحصن المادي إلى الحصن الدلالي والأيدوبولوجي:

يقودنا هذا كله إلى أن المشقر في شعر صدر الإسلام لم يعد حصنا ماديا فقط، بل صار حصنا دلاليا؛ أي اسما يؤدي وظيفة رمزية مستقلة عن وجوده العمراني المباشر، فهو يُستدعى ليحمل معاني الامتناع، والرغبة، والذكرى، والاختبار، ولكن هذه المعاني لم تعد تتحرك في أفق جاهلي خالص، بل أعيد تنظيمها ضمن منظور يرى أن الحصانة الحقيقية لا تنفصل عن العقيدة والعدل والانضباط بالقيمة، وفي هذا الإطار تكتسب القوة نفسها معنى مختلفا، فهي ليست نقيضا للإيمان، ولكنها لا تستمد مشروعيتها إلا منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: 4]، وهو نص يجمع بين القوة والتنظيم والغاية المشروعة، لا بين القوة والبطش المجرد.

وعليه، فإن تحوّل دلالات المشقر في شعر صدر الإسلام يكشف عن تحوّل أوسع في بنية الثقافة العربية نفسها: من تركز الهيمنة حول الحصن والملك والقبيلة، إلى إعادة تأويل القوة في ضوء المرجعية الإسلامية، ولم يؤد هذا التحول إلى محو الرمز، بل إلى تحريره من أحاديته الأولى، فالمشقر ظل يدل على المنعة لكنه لم يعد يدل عليها بمعناها الجاهلي المغلق، بل بمعناها المركب الذي يجاور الذاكرة والعبرة والنقد الضمني للسلطة حين تنفصل عن قيمها، ومن هنا تتأكد أهمية هذا الاسم المكاني في شعر صدر الإسلام، لأنه يكشف كيف يواصل الشعر العربي استخدام تراثه القديم، ولكن بعد أن يعيد صياغته داخل نظام دلالي جديد.

8. خاتمة

خلصت الدراسة إلى أن:

- حصن المشقر لم يرد في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام بوصفه موضعا جغرافيا فحسب، ولا باعتباره معلما دفاعيا ذا وظيفة عمرانية محدودة، بل بوصفه علامة شعرية وثقافية كثيفة الدلالة، أسهمت في تمثيل مفاهيم القوة والهيمنة والمنعة داخل المخيال العربي القديم، وقد

أظهرت قراءة النصوص والأخبار أن هذا الحصن اكتسب مكانته من اقترانه المبكر بوقائع الصراع والملك والحرب والسوق، وهو ما جعله ينتقل من مستوى المرجع المكاني إلى مستوى الرمز القادر على اختزال معاني الهيبة والسيادة والامتناع.

- حضور المشقر في الشعر الجاهلي ارتبط أساسا بتمثيلات القوة العسكرية والسياسية، إذ ظهر الحصن في هذا السياق علامة على الردع، وقرينا بالحماية، ومؤشرا على التمركز السلطوي وضبط المجال، ولم يكن استدعاؤه في النصوص استدعاء وصفيا محضا، بل كان توظيفاً لحمولته الرمزية في بناء صورة الفخر، وتكثيف الإحساس بالمهابة، وصياغة العلاقة بين المكان والسلطة في صورة جمالية يتداخل فيها السياسي بالبلاغي، ومن ثم بدا المشقر في القصيدة الجاهلية فضاء تُرى من خلاله القوة، لا مجرد موضع تدور فيه الأحداث.

- كشف تحليل شعر صدر الإسلام أن دلالة المشقر لم تختف، لكنها لم تبقى على حالها الأولى، إذ دخلت في أفق دلالي جديد فرضه التحول الإسلامي في النظر إلى السلطة ومصدر المشروعية، فالقوة لم تعد تُفهم من خلال المنعة المادية وحدها، ولا من خلال امتلاك الحصون ومظاهر الغلبة فحسب، بل أصبحت مرتبطة بمراجعة قيمية تجعل العدل والحق والشرعية أساسا للحكم على الفاعلية الإنسانية والسياسية، وبهذا المعنى لم يعد المشقر رمزا للهيمنة المغلقة كما كان في بعض السياقات الجاهلية، بل غدا رمزا مركبا يستدعي الذاكرة، ويحمل أثر التحول من تمجيد السلطة إلى مساءلتها ضمن منظور أخلاقي وتاريخي أوسع.

- أهمية المشقر في الشعر العربي القديم لا تعود إلى حضوره الموضوعي وحده، بل إلى كونه موضعا تداخلت فيه الجغرافيا والتاريخ والشعر، فصار مدخلا لقراءة تصور العرب للقوة، وآليات تمثيلهم للهيمنة، وطريقتهم في تحويل المكان من معطى واقعي إلى بنية رمزية منتجة للمعنى، ومن ثم فإن دراسة المشقر تكشف في أحد أهم أبعادها أن المكان في الشعر القديم ليس عنصرا ثانويا أو خلفية صامتة، بل مكوّن دالاليا فاعلا يضيء البنى العميقة للوعي الثقافي العربي في مرحلتي الجاهلية وصدر الإسلام.

التوصيات

1. توصي الدراسة بتوسيع نطاق الدراسات التي تتناول الرموز المكانية في الشعر العربي القديم، لأن هذا النوع من المقارنة يتيح الكشف عن أنساق السلطة والتمثيل الثقافي الكامنة خلف الوصف الشعري للأمكنة.
2. وتوصي كذلك بإفراد دراسات مقارنة تتناول الحصون والأمكنة ذات البعد السلطوي في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، مثل المشقر والخورنق والسدير، من أجل الوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف في تمثيل القوة والمنعة والهيمنة.
3. كما توصي بتعزيز المقارنة البينية في دراسة الشعر العربي القديم، بحيث يُفاد من معطيات الأدب والتاريخ والجغرافيا الثقافية معا، لأن المكان الشعري لا يمكن استيعاب دلالاته كاملة من داخل التحليل الأدبي وحده.
4. وتوصي أيضا بإعادة قراءة شعر صدر الإسلام قراءة تتجاوز منطق القطيعة التامة مع الجاهلية، وتتجه بدلا من ذلك إلى تتبع آليات الاستمرار والتحول في الرموز والصور والدلالات، وهو ما يسمح بفهم أكثر دقة لطبيعة التغير الثقافي في تلك المرحلة.
5. وأخيرا، توصي بجمع المادة الشعرية والإخبارية المتعلقة بحصن المشقر في دراسة مستقلة موسعة، تُعنى بتحقيق النصوص، ومراجعة الروايات، وربط الشواهد الشعرية بسياقاتها التاريخية والدلالية، حتى تتضح صورة هذا الرمز المكاني في الثقافة العربية القديمة على نحو أشمل وأكثر ضبطا.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

- ابن الأثير، عز الدين. (1997). الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن منده، أبو زكريا يحيى. (د.ت.). كتاب المعمرين. القاهرة: مكتبة القرآن.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت.). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

- الأفغاني، سعيد. (1960). أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. دمشق: دار الفكر.
- ضيف، شوقي. (1960). تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي. القاهرة: دار المعارف.
- العامري، لبيد بن ربيعة. (2004). شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- علي، جواد. (2001). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار الساقى.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين. (1995). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.